

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[494] أبلغ وأحسن! إـلا أن القرآن الكريم يجيب هؤلاء بجواب منطقي ومستدل تماما ، وفي الوقت نفسه قاطع ومفحم، فيقول: كأن هؤلاء قد نسوا تاريخ البشر، ولم ينظروا كم دمرنا من الأ قوام السابقين عند تمردهم وعصيانهم: (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً) (1) فهل استطاعت أموالهم وثروتهم، ومجالسهم الفاسقة، وملابسهم الفاخرة، وصورهم الجميلة أن تمنع العذاب الإلهي وتقف أمامه؟ وإـذا كانت هذه الأ مور دليلا على شخصيتهم ومنزلتهم عند إـ، فلماذا ابتلوا بهذا المصير المشؤوم؟ إـن زخارف الدنيا وبها رجاها متزلزلة إـلى حد أن نـها تتلاشى وتزول بمجرد أن يهب عليها أدنى نسيم هادئ. "القرن" - كما قلنا سابقاً في ما مر في ذيل الآية (6) من سورة الأنعام - تعني عادة الزمان الطويل، لكن لما كانت قد أخذت من مادة الإقتران، أي الإقتراب، فإن نـها تقال أيضاً للقوم والأناس المجتمعين في زمان واحد. ثم تحذرهم تحذيراً آخر، بأن لا تظنوا أيها الظالمون الكافرون أن مالكم وثروتكم هذه رحمة، بل كثيراً ما تكون دليلا على العذاب الإلهي: (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً. حتى إـذا رأوا ما يوعدون إمـا العذاب وإـمـا الساعة) إـي إمـا العذاب في هذه الدنيا، وإـمـا عذاب الآخرة (فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً). في الحقيقة، إـن مثل هؤلاء الأفراد الذين لا يمكن هدايتهم (والملاحظ أن القرآن يقول: (من كان في الضلالة) وهو إـشارة إـلى الإستممرار في الضلال) من

1 - (الأثاث) بمعنى المتاع وزينة الدنيا، و(رئي) بمعنى

الهيئة والمنظر.